عنوان الليسانس: علم اجتماع اسم الوحدة: أساسية

الرصيد:5 المعامل:2

المحاضرة الثالثة: علم اجتماع ما بعد الحداثة 2

" أي وضع أتعس من أن يحيا المرء على هذا النحو ،
لا يملك شيئاً لنفسه ، ويستمدّ من غيره راحته ، وحرّيته ، وجسده وحياته ؟"

تمهيد:

يعتبر مافيزولي بأن القيم الكبرى التي أسست المجتمعات الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين باتت على المحك الآن خاصة أيديولوجيا التقدم التي أوصلت العالم إلى ما هو عليه الآن من طغيان للماديات والتسليع الشامل للبشر والإنتاج المفرط وثقافة الاستهلاك.

أيضا وهذا هو الأهم والأخطر بالنسبة للباحث الفرنسي يتعلق الأمر باضمحلال فكرة الديمقراطية التي بني على أساسها النظام السياسي الغربي. ويرى أنه في مقابل اضمحلال فكرة الديمقراطية كأساس للعقدين الاجتماعي والسياسي تبرز الآن داخل المجتمعات الغربية ما يشبه عودة الارتباط القبلي والعرقي.

ففي غياب رابط روحي أو فكري أو أيديولوجي يغذي ويوحد شرائح المجتمع هناك صعود قوي للأقليات بمختلف أنواعها العرقية والجنسية في تعارض مطلق مع فكرة العولمة الكونية وتلاشي الحدود بين الدول والمجتمعات.

لذلك يرى اننا في حاجة لقيام علم اجتماع يتجاوز الاطر التقليدية للحداثة ويكون أكثر قدرة على قراءة تعقيدات المجتمع الغربي وتسارع تغيراته تحت وطأة عوامل متداخلة جعلة من سؤال امكانية العيش المشترك وفي سلام سؤالا جوهريا.

1.أسس علم اجتماع ما بعد الحداثة:

إذا كانت السوسيولوجيا في بداية أمرها قد جاءت من أجل الوقوف على خصائص المجتمع الحديث، والوقوف على الأمراض التي برزت في هذا المجتمع كالفقر والمرض والهجرة القروية وغيرها، فإن ظهور المجتمع الما بعد حداثي يولد الحاجة إلى سوسيولوجيا ما بعد حداثية، بوسعها أن تفكك بنية هذا المجتمع، وتكشف عن المنطق الاجتماعي الذي يتحكم في الظواهر التي يزخر بها هذا المجتمع.

يؤكد العديد من السوسيولوجيين أهمية وجود علم اجتماع جديد، والذي من شأنه أن يدفعنا إلى أن نعيد النظر في منطلقاتنا وفي المنهج الذي نعتمد عليه في دراسة الظواهر الاجتماعية .الشيء الذي من شأنه أن ينعكس إيجاباً على السوسيولوجيا تنظيراً وممارسة.

في السياق نفسه يدعونا **مافيزولي،** بكيفية أو بأخرى، إلى إعادة النظر في السوسيولوجيا كما تمارس حالياً .وعلى العموم يمكن تحديد مجموعة من الخصائص، التي تتميز بها سوسيولوجيا ميشيل مافيزولي، والتي حاول بلورة معالمها الكبرى على امتداد عقود من الزمن .وهي في الواقع خصائص مترابطة فيما بينها، وما الفصل بينها هنا إلا مسألة منهجية يتوخى منها الشرح والتوضيح لا غير.

1.إعادة النظر في الموضوع والمنهج والمفاهيم

من المعلوم أن كل علم يتميز عن العلوم الأخرى بثلاثة خصائص أساسية، هي: أولاً، **الموضوع**، ثانياً، **المنهج**، ثالثاً، **المفاهيم** .وبالنسبة إلى مافيزولي فإن أول ملاحظة يمكن تسجيلها من خلال قراءة كتبه هي أن ما يكتبه يختلف كثيراً عما هو معروف في السوسيولوجيا، سواء من حيث المواضيع التي يتناولها، أو من حيث المنهج الذي يعتمده في مقاربته لها، أو من حيث المفاهيم التي يستخدمها في دراساته.

إذ أن كل موضوع يتطلب منهجاً لمقاربته .لذلك فالعلاقة بين الموضوع وبالأخص في علم الاجتماع، هي علاقة حيوية كما يؤكد ذلك ثيودور أدرنو، الذي يضيف فكرة وجوب تطور المنهج انطلاقاً من المواضيع المدروسة.

إن الإحاطة بالظواهر الاجتماعية التي يتميز بها المجتمع المعاصر يقتضي في نظر مافيزولي تغيير التصور القديم للمعرفة الاجتماعية .إذ لا يجب الاعتماد على النقد التفسير وإنما يجب الاعتماد على الفهم والقبول، قبول الحياة هي دون أي اعتراض، الذي قد يتم تحت هذه الذريعة أو تلك .وفي هذا الصدد يدعو مافيزولي إلى عدم التمييز بين جوهر الحياة ومظهرها،معتبراً إياهما وحدة غير قابلة للقسمة.

2.انتقاد القطيعة الابستيمولوجية:

يقول غاستون باشلار إن المعرفة تبنى وليست معطاة، وهي تبنى بالقطيعة مع الرأي .إن العلم، في نظر باشلار، يتعارض مع الرأي .الرأي دائماً على خطأ .إنه تفكير سيئ بل إنه لا يفكر نهائياً .لذلك اعتبره باشلار عائقاً إبيبستيمولوجياً وعليه يدعو إلى استبعاده،وا إحداث قطيعة إبيبستيمولوجية معه.

بيد أن مافيزولي يدعو إلى تبني سوسيولوجيا تنطلق من الرأي، ومن المعرفة العادية، ومن الحس المشترك، وتعلي من شأن الحواس، وبكلمة مختصرة كل ما عملت السوسيولوجيا في فترة الحداثة على استبعادها إقصائه،

لقد كان ماكس فيبر يرى أن السوسيولوجيا توجد في منتصف الطريق بين الفيلسوف ورجل الشارع .لكن الملاحظ هو أن حكمة رجل الشارع كانت على الدوام شيئاً بغير أهمية .إذ لم تحظ أبداً بما تستحقه من اهتمام .لقد كان هناك تمييز بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية وهذا التمييز خلق هوة عميقة بين المثقفين وعموم المواطنين وهي هوة تزداد اتساعاً يوماً بعد آخر.

لذلك يدعوا **مافيزولي** الى التحلي بشيء من التواضع والاستماع لرجل الشارع ورأيه والإنصات إلى الحياة اليومية في جريانها الطبيعي، والى الثقافة كما تعاش هنا والآن وخاصة ثقافة الأحاسيس.

3.الانتصار للذاتية على حساب الموضوعية:

لقد انتصرت الحداثة للموضوعية، واعتبرتها من ركائز العلم الأساسية .هذه الفكرة مقبولة إلى حد ما في مجال العلوم الدقيقة لكنها تطرح مجموعة من الإشكاليات في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وفي هذا السياق يطرح جون بياجيه مجموعة من العوائق التي تحول دون تحقيق الموضوعية في العلوم الإنسانية، ومنها :تأخر ميلادها مقارنة بالعلوم الدقيقة، وصعوبة التخلص من التمركز حول الذات، لأن الموضوع يكون هو الذات نفسها، ثم تأثر الباحث بمواقفه الفلسفية والأيديولوجية.

ويدافع فيلهام دلتاي عن هذا الطرح من خلال تسميته للعلوم الاجتماعية بالعلوم الروحية، ويعطي كل الحق للعلوم الإنسانية في بناء منهجها انطلاقا من الموضوعات التي تدرسها، فإذا كانت العلوم الطبيعية تدرس ظواهر معزولة وخارجية بالنسبة الى الوعي، فان العلوم الروحية تدرس مجموعة من الظواهر تشكل وحدة عضوية غير قابلة للتجزئة. وغير خارجية بالنسبة للوعي، **لذلك نحن نفسر الظواهر الطبيعة ونفهم الظواهر الإنسانية.**

تتطبق وجهة نظر مافيزولي مع أدرنو في هذه الأمر تطابقاً كلياً .إذ ينتقد مافيزولي البناءات السوسيولوجية، وحتى الفلسفية، التي على الرغم من أنها متماسكة منطقياً فهي لا تلغي الإحساس بالخواء واللاجدوى .إن السعي إلى الحياد والموضوعية يفضي، في الغالب، في نظر مافيزولي، إلى الأكاذيب أو، على الأقل، إلى كلام موغل في السطحية.

وطبعاً إن المعرفة التي تبنى على أساس الذاتية ستكون نسبية .وهذا يتماشى مع الطابع العام للمجتمع مابعد الحداثي، الذي صار فيه كل شيء نسبياً، بما في ذلك

الأخلاق والحقيقة .إن مافيزولي لا يسعى إلى بلوغ حقائق مطلقة .إن همَّه، كما يؤكد ذلك بنفسه أحياناً، هو طرح الأسئلة أكثر من البحث عن إجابات عنها .ويلخص مهمته في محاولة بسط الظواهر التي يدرسها، كما هي في الواقع، دون السعي إلى البحث عن حقيقتها المطلقة. وباختصار يمكن القول في هذا الصدد **إن الحقيقة الواحدة والمطلقة هي ببساطة عدم وجود حقيقة واحدة ومطلقة.**

ثانيا.سمات إنسان ما بعد الحداثة:

لكي نفهم الطرح الذي قدمه ميشال مافيزولي يجب أن نعرف ماهي سمات الإنسان الذي يتحدث عنه، ومن هذا الفرد الذي يجب على علم الاجتماع تجاوز أطروحاته التقليدية والتغيير من طريقته لفهمه في إطار الحياة اليومية؟

من خلال قراءة كتب مافيزولي يمكن حصر سمات إنسان مابعد الحداثة في ثلاثة عناصر أساسية وطبعاً فهذه العناصر تترابط في ما بينها وتتداخل وتتكامل، ولا تنفصل عن بعضها البعض، بل يصعب، في الواقع، التمييز بينهاتمييزاً واضحاً .

1.الاحتفاء بالحياة:

إن الحياة بالنسبة إلى إنسان مابعد الحداثة غاية في حد ذاتها، وليستأبداً مجرد وسيلة لهدف آخر يوجد خارجها .وهذا أمر نجد الإشارة إليه عند بعض الفلاسفة والروائيين كنيتشه ودوستوفسكي الذي يشبه هذا الإنسان بلاعب الشطرنج، الذي لا يحب سوى مسار اللعب ولا يحب الهدف في حد ذاته.

إذا كان الإنسان القديمجّ ِد الماضي والإنسان الحداثيمجّ ِد المستقبل، فإن إنسان مابعد الحداثة يمجد الحاضر .هذا الحاضر يجب العمل على الاستمتاع به إلى أبعد حد ممكن

إن السلام لم يعد ينتظر حصوله في جنة بعيدة قد تكون سماوية أو أرضية، وإنما يعاش هنا والآن علماً أن كل شيء في تحول .وهو ظرفي ومؤقت، وهنا أتذكر تعريف علماء اللسانيات للغة الحيوانات فهي لغة لا يمكنها نقل المشاعر أو الحديث عن الماضي أو المستقبل، بل تتناول (hère and now) ما هو أني وفي نفس المكان، أليس إنسان ما بعد الحداثة يعيش اللحظة في المكان فبأي لغة يتكلم؟

إن إنسان ما بعد الحداثة يحتفي بالحياة وبالعالم بكل ما فيه، ويقبل وجه العالم الجميل مثلما يقبل وجه العالم القبيح .إنه يقبل بالحياة كما هي .وقد توسع **مافيزولي** في هذه الفكرة، وذهب في ذلك إلى أبعد حد، وذلك في كتابه قسمة الشيطان حيث اعتبر أن الشر جزء لا يتجزأ من نظام الكون وإنسان ما بعد الحداثة لم يعد يخشاه كما كان في السابق،وإنما يقبله كعنصر أساسي من بين عناصر هذا الكون. معنى هذا أن إنسان ما بعد الحداثة يقبل بمصيره كيفما كان.

3.الانفتاح على الآخر:

شاع الاعتقاد بأن عصر القبيلة قد انتهى إلى غير رجعة .لكن مافيزولي لا يقبل بهذه الفكرة .إنه يفاجئنا بقوله إن العصر الذي نعيش فيه هو عصر القبائل .لا سبيل، في نظره، إلى إنكار عودة القبيلة .ويرصد مجموعة من المؤشرات التي تؤكد هذه العودة. ومن هذه المؤشرات الاستسلام للرغبات، التي يمكن عدها الدينامو المحرك للإنسان ما بعد الحداثي.

في هذا السياق الداعي إلى الإنصات إلى الرغبات والأهواء، ولما هو حسي عموماً، يؤكد مافيزولي أن السمة الخاصة والمميزة لمابعد الحداثة تتلخص في عودة المشاعر إلى الفضاء العام .هذه المشاعر هي التي تشكل اللحمة التي تربط الأفراد فيما بينهم .وبلغة سوسيولوجية يقول مافيزولي إن الرابط الاجتماعي بين الأفراد ينسج

انطلاقاً من لحظات تعاش جماعة، لحظات لا تعاش بشكل فردي وإنما بشكل جماعي .لحظات تنخرط فيها الجماعة بكل مكوناتها.

يؤدّي المجال دوراً مهماً في بناء الجماعة، أو القبيلة المعاصرة .وفي هذا السياق يؤكد مافيزولي أن المجال يخلق الرابط الاجتماعي هو أصل الحساسية البيئية المميزة للعالم المعاصر .ومن سمات الإنسان الذي يعيش في هذا العالم الأخير نجد أيضاً أنه إنسان محب هذا الإنسان هو الابن لشرعي لمابعد الحداثة .وهو محب لذاته، وللآخرين، وللطبيعة، وبكلمة واحدة إنه محب لكون برمَّته.

3.العودة الى الدين:

إن مما يميز إنسان ما بعد الحداثة هو الرجوع إلى الدين .إن هناك عودة قوية إلى الدين، الذي بات تأثيره ملحوظاً في الحياة الاجتماعية .وهو موضوع تناوله في الحقيقة العديد من الكتّاب والمفكرين، الذين عملوا على رصد تجليات هذه العودة . ويعد مافيزولي من علماء الاجتماع المعاصرين، الذين اهتموا بهذا الموضوع، ومنحوه ما يستحقه من اهتمام.

إن الفيديو كليبات والإشهارات والألعاب الإلكترونية والإنترنت وما يماثلها من ظواهر كلها تعود بنا حسب مافيزولي إلى زمن الأسطورة ، والأسطورة تحيل على العودة إلى .إلى الوراء،وإلى الماضي .هذا الماضي يلتهم ، ولم يضع إلى الأبد، بل تم تخزينه في ذاكرة جماعية مثلما يتحد سيغموند فرويد عن عودة المكبوت، عودة الماضي الانساني البعيد بدأ يعود من جديد، اذ يلاحظ عودة القيم القديمة الى الحياة الاجتماعية.

إن العودة إلى الدين لا تعني العودة إلى دين معين، بل إن المقصود بها هنا هو ظهور أشكال من التديُّن مغموسة في الوثنية .وهي أشكال لا ينكرها إلا جاحد، وتبرز

هذه الأشكال الجديدة من التدين في الانفجار الهائل للصورة، الذي يمكن أن نجد فيه. عودة لحياة روحية لها طابع حسي .حياة روحية تشكل محور الحياة الاجتماعية.

خلاصة:

تشير ما بعد الحداثة الى ان الحياة والتقاليد والأفكار ونمط العمل وطرق العيش وغيرها من المفاهيم والأشياء قد اختلفت اختلافا كُليّاً عن المُجتمعات الحديثة، وبالتالي طرق تفكير جديدة وفكر جديد أعمق، كما يُشيرُ لماء ما بعد الحداثة إلى أنّ هذا النمط الجديد من الفكر يُشير إلى **التفكير** في المعرفة الموجودة **سبقاً** من أجل فهمها بطريقة مُختلفة عن الموجودة مُسبقاً والّتي أنشأها عُلماء الحداثة؛ كالوظيفيين، والماركسيين، وبناءً على ما سبق فإنّه ليس كُل فكر موجود في فترة ما بعد الحداثة يعني أنّه وُجِدَ في وقتها، بل قد يتبع لعصر الحداثة.

المراجع:

1. مصطفى قيمة: المقاربات السوسيولوجية لما بعد الحداثة، مجلة اضافات أ العدد 34،33، 2016

https://www.b-sociology.com/2019/04/pdf_370.html

2.بيتر بريكو ترجمة جابر عصفور: الحداثة وما بعد الحداثة،منشورات المجمع الثقافي، ط1، الامارات العربية المتحدة 1995،

أسئلة تقويمية:

ما هي القضايا التي تفرد بها علم اجتماع ما بعد الحداثة؟

ما هي القطيعة الابستيميولوجية؟

هل أفرزت الأسس التي وضعها مافيزولي لعلم اجتماع جديد نظرية مغايرة؟

هل يمكن دراسة المجتمع الجزائري وفقا لسوسيولوجيا اليومي المعاش؟